المبادرة التعليمية العالمية

هذه النسخة تم توزيعها على كثير
من المشايخ لمراجعتها

4 مالا يسَعُ الشيخ جهله

مركز الوسطية
للبحوث والدراسات

مسائل التوحيد ١

الإصدار الأول ١٤٤٦هـ
v1.2

أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ [النساء: ٦٠] فهذا في الواحد، وقال تعالى في الجمع: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾[البقرة: ٢٥٧] وقال في المؤنث: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ [الزمر: ١٧] قال: ومثله في أسماء الفلك، يكون واحداً، وجمعاً، ومذكراً ومؤنثاً .... فتحصل من مجموع كلامهم رحمهم الله: أن اسم الطاغوت، يشمل كل معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال، يدعو إلى الباطل، ويحسّنه؛ ويشمل أيضاً كل من نصبه الناس، للحكم بينهم،

وحجّته زعم ما جاء في صحيح البخاري "واللهِ ما أخافُ عليكم أنْ تُشْرِكوا بعدي ، ولكني أخافُ عليكم الدنيا أنْ تَنَافَسُوا فيها" .

وهذا من جهله ولأنه كما قدمنا لازم قولهم في التوحيد وإلا فإن هذا الحديث المقصود به أصحاب رسول الله ﷺ وهو تماماً كقوله لهم كما عند البخاري" فَوَاللَّهِ ما الفَقْرَ أخشى عليكم ولَكِنْ أخْشَى عَلَيْكُم أنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا " .

فهل يقول عاقل أن الفقر لن يكون في هذه الأمة! .

ومع ذلك نقول إن الأصل في هذه الأقسام الثلاثة، هو توحيد الربوبية .

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل،

والرياء مشتق من الرؤية وهو أن يعمل العمل ليراه أو ليسمعه الناس فهو مشتق من الرؤية، مصدر راءَى يرائي، والمصدر رياء .

وإبطاله للعمل له صورتان :

الأولى : أن يكون في كل العبادة، فلم تؤدى العبادة في الأصل إلا رياءً، فهذا يبطل العبادة و قد يوصل صاحبه إلى الشرك الأكبر .

الثانية : أن يطرأ على العبادة، كأن يبدأ العبادة في الأصل لله لكن زينها بعد ذلك لنظر الناس إليه .

فإذا كانت العبادة مرتبط أولُها بآخرها كالصلاة ، فتبطل كل العبادة وإلا بطل الجزء الذي طرأ عليه الرياء ، كالرياء في الصدقة .

وإثباتها له بوصف الاختصاص فدلالتها على الإثبات أعظم من دلالة قولنا: (الله إله) ولا يستريب أحد في هذا البتة" .

وله كلام في (المدارج) لخصه ابن أبي العز عند تفسير قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ .

فقال "فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد ، والرد على جميع طوائف الضلال ، فتضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها ، من أجل شاهد ، بأجل مشهود به ... فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع : علمه سبحانه بذلك ، وتكلمه به ، وإعلامه ،

الحسنى والصفات العلى. فقد تضمنت هذه الأسماء الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنى. فكان المستعيذ بها جديرا بأن يعاذ ويحفظ، ويمنع من الوسواس الخناس ولا يسلط عليه".

والعجيب كما مر معنا أن أكثر المتكلمين يقرون بأن الإله هو: المستحق للعبادة .

وقد نسب الرازي هذا القول للمعتزلة قال "قالت المعتزلة الإله هو الذي تحق له العبادة" .

وممن قال بذلك أبو منصور الماتريدي في تفسيره (تأويلات أهل السنة) قال "ثم نعت الربّ فقال: ﴿لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ﴾ فكأنه يقول: لا معبود يستحق العبادة

ومنهم من برر سجود إخوة يوسف فقال "فإن قال قائل: كيف جاز السجود لغير الله؟ وإذا جاز السجود لغير الله فلمَ لا تجوز العبادة لغير الله؟

- قال - والجواب: أن العبادة نهاية التعظيم، ونهاية التعظيم لا تجوز إلا لله؛ وأما السجود نوع تذلل وخضوع بوضع الخد على الأرض، وهو دون العبادة، فلم يمتنع جوازه للبشر- كالانحناء".

فجعل مقدار التذلل والخضوع والذي لا يمكن لأحد قياس مقداره خاضعاً لرأيه في كون الفعل شركاً !! ، فما كان في

المخلوق ،لكن لا يقال أن ما أطلق منها في حق الله مساو لما أطلق في حق المخلوق، كصفة الوجود والعلم والقدرة .

فكذلك السجود الذي تعبدنا الله به والذي لا يكون إلا لله ،يفرق عن سجود التحية الذي كان جائزاً في الشرائع السابقة ،وقد حُرّم في شرعنا ،فلا يوجد سجود تحية في الإسلام ،فلم يبق إلا سجود العبادة ،فمن سجد لمخلوق فقد عبده ولا نحتاج إلى تعريف أو ضابط للعبادة يجعلنا نقرر هذا الحكم ،لكن أهل العلم يفرقون بين السجود للشيء والسجود إلى الشيء وهنالك تفصيل يذكره أهل

إبراهيم لأبيه وقومه (قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) .

فأخذ يبلبل حول "بل" حتى أتى بما لم يأت به الأوائل .

قال إمام المفسرين الطبري في تفسير الآية السابقة "وفي الكلامِ متروكٌ استُغْنِيَ بدلالةِ ما ذُكِرَ عمَّا تُرِكَ، وذلك جوابُهم إبراهيمَ عن مسألتِه إياهم .. فكان جوابُهم إياه: لا، ما يَسْمَعوننا إذا دعَوناهم، ولا ينفَعوننا ولا يضرّون. يدلّ على أنَّهم بذلك أجابوه قولُهم: (بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ). وذلك أنَّ (بل) رجوعٌ عن